تأمّلات ساحليّة ...

هاشم العراقي

شوقُ المسافرِ ،
والسفينةُ ،
والفتاةُ العاريةْ
ويدٌ تمرُّ على اللآلىء ،
والغريقْ
هذا هو البحرُ العميقْ
هذا الذي يعطيهِ سرمَدَهُ ،
وينتزعُ الضفافَ من السكونْ
ويعيدُ تشكيل الجزائرْ . .
. . . تقفُ الفتاةُ العاريةْ
ساقانِ تصطكّانِ عند الخطوةِ الأولى ،
وتقترب المياهْ ،
من زغبِ فخذيها ،وتندفعَ المياه ،
نهدانِ منعزلانِ مثل جزيرتينِ ،
توحّدا في لحظةٍ ،
يتوهجُ الجسدانِ في العرسِ المقدّسِ ،
والفتاةُ تصيرُ موجَةْ
والبحرُ يصبحُ عاشقاً ،
خيطاً . . يشدُّ جزيرتينِ ،
ويعودُ بحراً لا يسافِرْ . .
هذا هو البحرُ العميقْ
سُفُنٌ ، وأشواقٌ ، وغرقى ،
ويدٌ تمرُّ على اللآلىء ، كفُّ صيّادٍ عريقْ
وقصائدُ النوتيّةِ المتمردينَ ،
ولمحةٌ من سيفِ قرصانٍ ،
وفرحةُ عائدينْ . . .
أو هجرةٌ أخرى ، وبيتٌ أو طريقْ
البحرُ إمرأةٌ تعرّت كي يصيرَ البحرُ بحراً ،
يستعيدُ فحولةً فُقِدَتْ ،
وإنساناً يفيقْ
نهدانِ قد قبلا التحدّي ،
هذا أوان الاقترابِ من القرارْ . .
والبحرُ والجسدُ المقدسُ في انتظارْ ،
وجهاً ، لوجهٍ ،
ثم يتحدانِ ،
إمرأةٌ تعرّتْ ،
يَستعيدُ البحرُ في مهلٍ فحولَتَهُ ،
ويبتدىء الحوارْ ،
والمدُّ يخسرُ شكلَهُ المألوفَ يمنحُ شارةً للانحسارْ
جسدٌ ، وبحرٌ ، يبحرانِ مع المسافةِ ،
ثم ينطبق المحارْ . .
. . . قف في المساءِ على الضفافْ ،
ولتأكلِ السمكَ الذي اصطادَتْهُ غيرُ يديكَ ،
يغتسلُ المحارْ ،
والماءُ ،
عند الساحلِ الأدنى ،
ويبتعدُ النهارْ ،
(. . ما أجملَ الشمسَ المطلّة في المساءِ ،
على البحارْ . .)
هو كلُ ما سَتقولهُ . . . ،
كُلْ بعضَ ما نَزَفَ المحيطُ ،
ولا تجازفْ بالنزولِ إلى البحارْ ،
وارسمْ ، وصوّرْ ما تشاءُ ،
فلستَ تفهمْ . .
هذا هو البحرُ العميقْ
شوقُ المسافرِ ،
صرخةُ المتمردينَ الباحثينَ عن البلادِ المُستباحَةْ
وسفينةٌ تمضي ، وبحّارٌ يخاطبُ زوجةً ستخونُهُ ،
ويدٌ تمرُّ على اللآلىء ، والكواسجِ والطحالبِ ،
والغصونُ ،
واحتفالُ الماءِ بامرأةٍ تعرّت ، ومدينة سُحِقَتْ ، وغرقى ،
عانَقَتْهُ ،
وقَبَّلَتْهُ من العيونْ ،
ليعودَ بحراً ، لا يسافرْ . . .

قبرص